

فصول

مجلة النقد الأدبي

أبو حيان التوحيدي

الجزء الثالث

مركز تحقيق التراث بدار العلوم بدمشق

- مفهوم الإنسان
- أفق العقل
- موسيقى الخط
- التفكير النقدي
- الفكر اللغوي
- كتابة المغامرة
- أخى الذى لم أره
- محنة المثقف

المجلد
الخامس عشر
العدد الأول
ربيع ١٩٩٦



فصول

مجلة النقد الأدبي

مجلة علمية محكمة

٦٩٩٨٥



مركز تحقيق تكملة مركز دراسات

أبواب الوحي

الجزء الثالث



تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب



٥٨٩٩٩

رئيس مجلس الإدارة: سمير سرحان

رئيس التحرير: جابر عصفور

نائب رئيس التحرير: هادي وصفي

الإخراج الفني: سعيد المسيري

محمود القاضي

مدير التحرير: حسين حمودة

التحرير: حازم شحاته

ناظمة قنديل

سكرتارية: أمال صلاح

صالح راشد



مركز تحقيق وتطوير علوم إيسدي

● **الأسعار في البلاد العربية:**

الكويت ١٧٥٠ دينار - السعودية ٣٠ ريال - سوريا ١٢٢ ليرة - المغرب ٥٥ درهم - سلطنة عمان ٣ ريال - العراق ٢ دينار - لبنان ٥٠٠٠ ليرة - البحرين ٣ دينار - الجمهورية اليمنية ١٠٠ ريال - الأردن ٢ر٥ دينار - قطر ٣٠ ريال - غزة / القدس ٢ر٥٠ دولار - تونس ٥ دينار - الإمارات ٢٧ درهم - السودان ٦٧ جنيها - الجزائر ٢٤ دينار - ليبيا ١٧ دينار - دبي / أبو ظبي ٣٠ درهم.

● **الاشتراكات من الداخل :**

عن سنة (أربعة أعداد) ١٢٠٠ قرشا + مصاريف البريد ٢٨٠ قرشا، ترسل الاشتراكات بحوالة بريدية حكومية.

● **الاشتراكات من الخارج :**

عن سنة (أربعة أعداد) ١٥ دولاراً للأفراد - ٢٤ دولاراً للهيئات. مضاف إليها مصاريف البريد (البلاد العربية - ما يعادل ٦ دولارات) (أمريكا وأوروبا - ١٦ دولاراً).

● **ترسل الاشتراكات على العنوان التالي :**

مجلة «فصول» الهيئة المصرية العامة للكتاب - شارع كورنيش النيل - بولاق - القاهرة ج - م - ع.

● **الإعلانات : يتفق عليها مع إدارة المجلة أو مندوبيها المعتمدين.**

السعر: ثلاثة جنيهاً

التوحيد والتوحيدية

الجزء الثالث

• في هذا العدد



• رئيس التحرير

١١

• مفتوح

• كلمات

- فاروق حسنى
- شوقي ضيف
- إحسان عباس
- ميجيل هيرنانديث

المجلد
الخامس عشر
العدد الأول

ربيع ١٩٩٦



• دراسات

٢٣
٢٥ عاطف العسراقى
٣٦ زينب الخضيرى
٥٢ عماد الطالبى
٧٤ صلاح فتصوه
٨٤ جعفر الكنسوسى
٩٤ يوسف زيدان
١١٥ نور الدين أفساية
١٢٤ محمد زغلول سلام
١٣٣ محمد بغدادى
١٤٥ عبدالقادر الرباعى

- مفهوم الإنسان عند أبى حيان
- أبو حيان والبحث عن السعادة
- أبو حيان والفلسفة
- أفق العقل لدى التوحيدى
- تعليقات على كتاب الإشارات الإلهية
- هل كان التوحيدى صوفيا
- الاهتمام بالجمال عند التوحيدى
- الموسيقى والغناء فى كتابات أبى حيان
- موسيقى الخط العربى عند التوحيدى
- التفكير النقدى فى كتاب المقابسات

- ١٦٣ يوسف أبو العبدوس - المبحث النقدي والبلاغي في الإمتاع
١٨٧ محمود فهمي حجازي - الفكر اللغوي في إطار لقاء الثقافات
٢٠٥ نصر الدين صالح سيد - الرؤية اللغوية عند أبي حيان
٢٢٢ هاشم محمد سويقي - النصوص المنسوبة إلى السيرافي
٢٤٣ هاني العممد - التوحيدى مترجما للرجال
٢٨٣ أحمد بولوط - مخطوطات التوحيدى فى تركيا
٢٨٨ هارتموت بومتين - التوحيدى بين الألمان



الجزء الثالث

- ٢٩١ ● شهادات
أحمد عبد المعطى حجازي - إدوار الخراط -
جمال الفيضاني - خيرى شلى - واسيني
الأعرج - عبد اللطيف عبدالحليم (قصيدة).

- ٣٢٩ ● ندوة
- ديوان ابن قزمان



مركز تحقيقات لسانى وادب عربى

النصوص المنسوبة إلى السيرافي في كتابات التوحيدى أنماطها وقضاياها

هاشم محمد سويفى محمد*

كان أبو حيان التوحيدى دائرة معارف جيله وكتاب عصره، فقد جمع ما اختلفت عليه تلك الجركة العلمية الواسعة فى القرن الرابع الهجرى، وترجم له ياقوت الحموى، فقال :

«كان متفننا فى جميع العلوم، من النحو واللغة، والشعر، والأدب، والفقه، والكلام على رأى المعتزلة... فهو شيخ الصوفية، وفيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة، ومحقق الكلام، ومتكلم المحققين، وإمام البلغاء... وهو كثير التحصيل للعلوم فى كل فن حفظه واسع الدراية والرواية»^(١).

* قسم اللغة العربية، كلية الآداب، بحامة القاهرة.

كما قال عنه «السبكي» :

«كان إماماً فى النحو واللغة، والتصوف، فقيها مؤرخا»^(٢).

وفى إطار هذه الثقافة الموسوعية، كان للنحو واللغة مساحة كبيرة من هذه الثقافة، فقد تتلمذ على أيدى كثيرين من علماء اللغة والنحو، وإذا ذكرنا السيرافي^(٣) كفانا عناء ذكر آخرين. فقد كان هذا الأستاذ إمام وقته وحجة عصره، علما بنحو البصريين ونظماً لمذهب العرب، شرح (الكتاب) لسبويه فى ثلاثة آلاف صفحة. وكان أبو حيان قد قرأ عليه هذا الشرح، وعنه أخذ من مسائل اللغة والنحو والتفسير ما لعله يبلغ ألفاً وخمسمائة ورقة^(٤). وله كذلك من الكتب، كتاب (ألفات الوصل والقطع)، وكتاب (أخبار النحويين)، و(الوقف والابتداء)، وكتاب (صناعة الشعر والبلاغة)، وكتاب (شرح مقصورة ابن دريد)^(٥). ولم يكمل كتابه (الإمتاع فى

النحو) فتممه ابنه يوسف الذى قال عن أبيه: «وضع أبى النحو فى المزايل بالإمتاع»، يريد أنه سهله حتى لا يحتاج إلى مفسر، وغير ذلك من كتب^(٦).

وقد بلغت منزلة السيرافي العلمية شأواً كبيراً فتتلمذ على يديه الكثيرون غير التوحيدى، من ذلك ما يرويه ياقوت عن الأندلسى الذى تتلمذ له فقرت عنه بعد أن أحس بالغربة والندامة^(٧) والحسين بن مردويه الفارسى الذى درس عليه المدخل إلى كتاب سيويه^(٨) ودرس كتاب (الكامل) للمبرد على تلاميذه^(٩). ويقال إن ابن عباد حضر مجلسه وعرف فضله، وعلمه فتعصب له وقدمه على أهل زمانه^(١٠)، وأعجب به أيضاً ابن العميد عندما تناقش السيرافي والعامري بمجلسه سنة أربع وستين وثلاثمائة^(١١).

ولم يدرس السيرافي النحو فقط لتلاميذه، بل درس لهم أصول الشريعة والأحكام الفقهية، كما كان ينشدهم كثيراً من الشعر سواء ما قرضه أو تمثل به^(١٢)، عن طريق الشيء بالشيء يذكر. وذهب ماسينيون^(١٣) إلى أن التوحيدى أخذ التصوف والزهد فى الدنيا عن أستاذه، بل مثله الأعلى وشيخه، السيرافي الذى يقول عنه التوحيدى مصوراً ورعه وزهده وتقواه:

«مارأيت أحداً كان أحفظ لجوامع الزهد نظماً ونثراً، وما ورد فى الشيب والشباب من شيخنا أبى سعيد، وذلك أنه كان ديناً ورعاً تقياً زاهداً عابداً خاشعاً، له دأب بالنهار من القراءة والخشوع، وورد بالليل من القيام والخضوع، صام أربعين سنة الدهر كله»^(١٤).

وبحثنا يدور حول النصوص المنسوبة إلى السيرافي فى مؤلفات أبى حيان التوحيدى، وترجع أهمية هذا البحث إلى كثرة هذه النصوص وتنوعها بين نحو ولغة وإنشاء شعر للاستشهاد أو للرواية أو للمناسبة وتأكيد الكلام^(١٥)؛ تلك النصوص لم تخضع من قبل للدرس والتحليل لإبراز أنماطها وماتشيره من قضايا فى مجالات شتى. ولذلك، يهدف هذا البحث إلى استقصاء هذه النقول وتصنيفها إلى الأنماط التى تؤدى إلى بلورة عدة قضايا نقوم بدرسها وتحليلها.

وبحثنا لهذه النصوص يقوم على ثلاثة محاور رئيسية، يضم كل منها قضايا فرعية عدة. وأول هذه المحاور هو أنماط

الاقبتاس، ويتعرض لطرائق الأخذ أو التحمل لهذه النصوص، سواء كانت عن طريق الرواية الشفوية أو السماع أو كانت مأخوذة عن خط السيرافي. أما عن المحور الثانى، فيتعرض بالدرس والتحليل للقضايا التى تبلورت فى مجموعة النصوص المأخوذة عن السيرافي، ومن هذه القضايا:

القضايا الصرفية، والقضايا الدلالية للمفردات، ثم القضايا النحوية التركيبية، ثم قضايا التراكيب والأساليب.

أما عن المحور الأخير، فيتناول بالدراسة أنواعاً أخرى من النصوص المنسوبة فى روايتها إلى السيرافي، وتشمل الشعر وشروحه، والأقوال المأثورة والحكايات والتعليق عليها.

المصادر التى استقى منها هذا البحث مادته هى مؤلفات التوحيدى التى وصلت إلينا، ومنها: (البصائر والذخائر)، و(الإمتاع والمؤانسة)، و(أخلاق الوزيرين)، و(المقاسبات)، و(الهوامل والشوامل)، و(الإشارات الإلهية)، وأخيراً (الصدقة والصديق).

ولقد بلغ حجم المادة التى جمعها الباحث مائة وتسعة وعشرين نصاً. كان القدر الأوفر من النصوص من نصيب كتاب (البصائر والذخائر) [٦٣ نصاً]، يليه كتاب (الإمتاع والمؤانسة) [٢٤ نصاً]، ثم كتاب (أخلاق الوزيرين) [٢٢ نصاً]، وأخيراً (المقاسبات) [٢٠ نصاً].

أولاً : أنماط الاقتباس

طبيعة العلاقة بين التوحيدى والسيرافي :

لقد لعبت شخصية أبى سعيد السيرافي، بما حوته من علم ومعرفة وزهد وتصوف وتقشف، الدور الأكبر فى حياة أبى حيان التوحيدى، فتلتمس خطاه وسار على نهجه علماً وعملاً. وليس من شك فى أن عقلية التوحيدى الموسوعية قد لقيت فى شخص السيرافي نموذجاً ممتازاً عملت على محاكاته والتأثر به، خصوصاً أن إلمام أبى سعيد بأصول النحو والكلام، والفقه والحديث كان متمماً لعلوم الأوائل^(١٦). ومن ثم، كان التوحيدى دائم التعلق بالرجل، وكثيراً ما لهج لسانه بنعته بكل ما استطاع من عبارات المدح والثناء، فهو عنده تارة «شيخ الدنيا»^(١٧)، وأخرى «شيخ الدهر وقريع العصر والعديم المثل، المفقود الشكل»^(١٨)، بل هو

«عالم العالم وشيخ الدنيا ومقنع أهل الأرض»^(١٩)، وهو عنده أيضا :

«أجمع لشمل العلم وأنظم لمذاهب العرب،
وأدخل في كل باب، وأخرج من كل طريق،
وألزم للمجادة الوسطى في الدين والخلق، وأروى
للحديث، وأقضى للأحكام وأفسقه في
الفتوى»^(٢٠).

لذا، فإنه قد شغفه حبا فتعلق به، ونهل من علمه
ونفاثته الموسوعية تلك، فتارة يحضر مجالسه للإفادة ويسمع
شرحه لرواد المجلس، فيقول عنه : «وحضرت المجلس يوماً آخر
مع أبي سعيد وقد غص بأعلام الدنيا وينود الآفاق»^(٢١)،
فيفيد من ذلك العلم ويدونه. كما كان كثير السؤال له في
كل ما يعن له من مسائل نحوية أو لغوية غفضت عليه اعترافا
بفضله، وثقة بعلمه. ومن يقرأ كتب التوحيدى على اختلاف
مشاربها سوف يعلم أن السيرافى كان رافداً ثريا أمد التوحيدى
بمعرفة اللغة، وظهرت آثار ذلك في كتبه، فوجدناه ذا علم
واسع بالنحو وطرق أهله، وباللغة واستعمالاتها، وتراكيبها،
ومفرداتها. كما نعلم منه أيضا كل ما كان يدور فى مجلسه
عن النحو والفقه، والكلام، والتصوف، واللغة، والقراءات.

لقد كانت عادة أبي حيان أن ينشر آراءه فى كتبه دون
إفراد أو تبويب أو ترتيب، وهو كذلك ينسب أغلب ما قاله
إلى أساتذته أو قائله دون محاولة الإيهام بأن رأى أو القاعدة
التي يروها أو يقرها له، مما يبرز أمانته العلمية فى النقل.

وكان التوحيدى من بين تلاميذ السيرافى، وكان كثير
النقل عن أستاذه فى كل ما كان يلقيه عليه، إما بالتحدث
مع التوحيدى وزملائه، وإما بإجابته عن ما يسألونه عنه، وإما
بإخبارهم أو بالنقل مما خطه السيرافى. ولهذا، اتخذ اقتباس
التوحيدى عن أستاذه السيرافى مسلكتين رئيسيتين أحدهما:
الرواية الشفوية، والآخر النقل عن خط السيرافى ومدوناته.

(أ) الروايات الشفوية :

كان لطبيعة العلاقة بين الطالب والأستاذ أثر كبير فى
أسلوب أخذ العلم وتلقيه عن الأستاذ، واتخذ ذلك أكثر من
منحى، من ذلك :

- ما يتعلق بالطالب ويتمثل فى الاستماع والإنصات
لكل ما يقوله الأستاذ؛ حيث يجب على الطالب أن يتخذ
سمت التلميذ الذى يرنو وينصت بكل جوارحه لكل ما يلقيه
عليه أستاذه. وقد يتخذ الطالب جانبا إيجابيا فيقرأ على أستاذه
ما غمض عليه من نقاط منتظراً إيضاح أستاذه لها وإزالة
غموضها.

- ومنها ما يتعلق بالأستاذ ويتمثل ذلك فى :

القول: وما يتضمنه من آرائه أو آراء غيره حول قضايا
أثيرت فى مجلسه.

الإنشاد: لأبيات من الشعر، سواء ما قرضه أو تمثل
به^(٢٢) عن طريق الشيء بالشيء يذكر.

الحكى والحديث: عن حكايات وأخبار لطرافتها. وقد
يكون لما تنطوى عليه من حكمة أو عبرة يريد أن ييشها فى
سامعيه، وقد يذيلها بعبارات مأثورة قد يستفيض فى تفسير
وتوضيح ما تتضمنه من قضايا لغوية.

- ومنها ما يبرز العلاقة الجدلية بين طالب غمضت
عليه مسائل بعينها يريد استجلاءها فيطرحها على أستاذه،
الذى ينبرى بدوره إلى إجلاء الحقيقة وإزالة ما يكتنفها من
غموض ليشفى غلة تلميذه وعطشه إلى المعرفة.

ولقد كان لكل هذه المناحي نماذج ممثلة لها فى
كتابات التوحيدى بصدد ما نقله عن أستاذه السيرافى،
وسوف نعرض لهذه النماذج لبيان توجهاتها المختلفة.

* السماع :

وهذا المنحى يمثل جانب التلميذ الذى يدفعه تعطشه
إلى المعرفة إلى الإنصات والاستماع بكل جوارحه إلى كل
ما يتلفظ به أستاذه استزادة من علمه، وتراوح التعبير عن هذا
الاستماع بين تعبيرات عدة لكل منها خصوصيتها، فتارة
يقول: «سمعت أبا سعيد السيرافى يقول:....»^(٢٣) ثم يسوق
مسألة تحدث عنها السيرافى. ولكن عندما يعتمد التوحيدى
إلى مناقشة قضية ويسوق رأيه فيها ويريد أن يدعم هذا رأى،
فإنه يستدل على ذلك بما سمعه عن أستاذه السيرافى حتى
يعطى انطباعاً لدى السامع بمدى رجاحة رأيه المستمدة من

ثقة الناس في السيرافي، ومن ذلك قول التوحيدى: «سمعت هذا من أبي سعيد»^(٢٤) أو قوله: «حصلته عن أبي سعيد السيرافي قراءة وسماعاً ومساءلة ومراجعة»^(٢٥). كما نجد التوحيدى يقرن بين عبارتي «القول» من جانب السيرافي و«السماع» من جانبه للإشارة إلى مدى دقة ما نقله، بل إنه ينص على سماعه منه لفظاً، فيقول: «كذا قال السيرافي، سمعت ذلك منه لفظاً...»^(٢٦). وتارة يسمع التوحيدى من أستاذه رأياً سمعه بدوره من رجل آخر، مما يعكس أمانة الأستاذ في نسبة الرأي إلى صاحبه وعدم ادعائه لنفسه، وكأنه يعطى لطلابه درساً ويرسخ فيهم قيمة الأمانة العلمية ودقة العالم، فيقول التوحيدى: «سمعت السيرافي يقول: سمعت نطقه يقول:...»^(٢٧). وتارة أخرى يكون مجلس السيرافي سياجاً لما سمعه التوحيدى ليس من أستاذه ولكن من رجل آخر ضمه المجلس، وفي هذه الحالة نجد السيرافي في تعبيره عن رأيه فيما قيل يتخذ إحدى اثنتين، فإما أن يتخذ جانب الصمت وعدم التعليق مما يفيد إقراره لما قيل وموافقته عليه، نحو قول التوحيدى: «سمعت في مجلس أبي سعيد شيخاً من أهل الأدب يقول:...»^(٢٨)، وإما أن يبادر السيرافي إلى التعليق بإبداء رأيه الذي قد يكون مغايراً لما قيل، ومن ذلك قول التوحيدى «رأيت من فتح اللام في مجلس السيرافي، فضحك منه ورده عليه»^(٢٩). وفي أحوال كثيرة يتصدى التوحيدى التلميذ للدفاع عن أستاذه وإبراء ذمة هذا الأستاذ من رأى نسبته آخرون إلى السيرافي، وهو يرى أنه مزعوم لأنه لم يسمعه منه، فيقول: «زعم بعض أصحابنا أن السيرافي قال: هذا الإنسان من باب الطاق، وما سمعته منه»^(٣٠). والتوحيدى بهذا يريد أن يقول إنه ملم بكل ما صدر عن السيرافي، ولذلك فإن ما لم يسمعه من أستاذه يكون منحولاً عليه وليس من كلامه.

أما عن المنحى الذي يمثل جانب الأستاذ فيتمثل في: (القول، الإنشاد، الحكى، الحديث):

* أما عن القول:

نجد التوحيدى تارة يسوق قول أستاذه في مسألة بقوله: «قال السيرافي:...»^(٣١). وتارة أخرى يذكر رأى أستاذه وتعليقه على مسألة دارت في مجلسه فيقول:

«وجرت في مجلسه [أى السيرافي] مسألة، وهى: هل يصح أن يقال: هذا هذا هذا هذا هذا، فقال: تجعل الأول مبتدأ، والثاني توكيداً، والثالث فعلاً من قولك: هاذى بهاذى من المهاذة، والرابع توكيداً للفعّل، والخامس مفعولاً به، والسادس توكيداً للمفعول به»^(٣٢).

ولا تخفى روح الدعابة سواء فيما طرح في مجلس السيرافي أو في رده على ما حوته الدعابة من تساؤل، عكس مفاكهة السيرافي لتلاميذه ليخفف عنهم جفاف أو جدية ما يدرسون.

وتارة أخرى تدور ملاحظة بين التلميذ وأستاذه يهدف منها الطالب استيضاح رأى أستاذه في مسألة غمضت عليه، ويستمر في الجدل بغية الاستزادة من علم أستاذه، ومن ذلك قول التوحيدى:

«قلت للسيرافي: ما يقال للشاطر؟ قال: الملع، قلت: فما الملقط؟، قال: الخيثة»^(٣٣).

* الإنشاد:

كان السيرافي ينشد الشعر سواء كان شعراً هو قائله أو قاله آخرون. ومن ذلك ما قرضه من الشعر وساقه ليستعين به على تفسير معانى بعض المفردات ومناقشة ما تشير هذه المفردات من قضايا بعينها، فيقول التوحيدى: «أنشد السيرافي:...»، ثم يذكر ثلاثة أبيات يذيلها بشرح وتفسير لبعض مفرداتها. ولكي يدلل على صحة رأيه يسوق شطراً من بيت لطرفة بن العبد^(٣٤). وقد يسوق شعراً فيبادر أحد تلاميذه إلى سؤاله عن أشياء عنت له فيه ويدور حوار بين التلميذ وأستاذه يهدف منه الطالب إلى الاستزادة من علم أستاذه، ومن ذلك قول التوحيدى:

«أنشدنى هذا البيت أبو سعيد السيرافي، وقلت له: إن أبا وجزة إسلامي [يقصد قائل البيت]، قال: فما تصنع بقول بعض الأسديين وهو جاهلي؟، ثم يسوق ستة أبيات للتدليل على صحة رأيه»^(٣٥).

وقد يسوق السيرافي أبياتا من الشعر وينسبها إلى قائلها دون أن يعلق عليها، ومن ذلك قول التوحيدى: «أنشدنا أبو سعيد السيرافي لأبى هفان يخاطب إبراهيم بن المدير وقد خرج مصعداً إلى بغداد من البصرة» ثم يسوق الأبيات^(٣٦).

وقد تقرأ أبيات على السيرافي في مجلسه، وقد يكون ذلك للتأكد من سلامتها اللغوية، ويكون صمته دليلاً على إقراره بها وعدم اعتراضه عليها، ومن ذلك ما قاله التوحيدى:

«قرئ على السيرافي وأنا أسمع، قرأه عبدالسلام البصرى، أخبركم ابن دريد قال، أنشدنى بندار ابن إبراهيم الكرخي»، ثم يذكر بيتين، وينهى كلامه بقوله: «هكذا قال»^(٣٧).

ونلاحظ هنا أن التوحيدى يجعل نفسه سامعاً وشاهداً على ما دار في مجلس السيرافي، وبالتالي شاهداً على إقرار السيرافي بصمته وعدم تعليقه على سلامة هذه الأبيات لغوياً، لعدم اعتراضه عليها.

وفي موقف آخر وجدنا أن التوحيدى هو الذى أنشد أبياتا من الشعر على السيرافي، كان قد قرأها في كتاب (اللغات) ليونس بن حبيب^(٣٨)، مصحوبة بشرح بعض مفرداتها، كأنه يريد أن يستطلع رأى السيرافي في سلامة الأبيات من ناحية، وكذا رآه في تعليق ابن حبيب على بعض مفردات الأبيات؛ فنجد التوحيدى بعد: أن أنشد الأبيات وذكر تعليق ابن حبيب عليها يقول: «هكذا قال يونس في كتاب اللغات»، وقرأه على أبى سعيد السيرافي^(٣٩).

* الحكى والحديث :

كان من الأساليب التى اتخذها السيرافي في عرض آرائه في قضايا النحو واللغة، أن يسوق حكاية يروى في ثناياها أبياتا من الشعر تكون مادة لمعالجة القضية التى يريد إثارتها والتعليق عليها. ومن ذلك ما قاله التوحيدى من أنه قد «حكى أبو سعيد السيرافي أنه دخل إلى مسجد ابن دريد ورجل ينشد...»، ثم يروى الأبيات ويتبعها بتعليق حول وقوع الشاعر في الإقواء نتيجة التزامه بالقاعدة النحوية. إلا أن التوحيدى يعلق على هذه الحكاية بأنه «حدثني بهذا الحديث بعض أصحابنا ولم أسمع منه»^(٤٠)، في إشارة إلى عدم ثقته من صحة نسبة هذا الحديث إلى أستاذه السيرافي. ومن

الجدير بالذكر أن التوحيدى عندما يشك في نسبة رأى أو خبر إلى السيرافي يعقب عليه بعبارة «حدثني بهذا بعض أصحابنا ولم أسمع منه»^(٤١)، أو يبدؤه ويذيله بعبارة «زعم بعض أصحابنا أن السيرافي قال...»، وما سمعته منه»^(٤٢).

وقد يكون السيرافي نفسه هو متلقى الحكاية؛ حيث يقرأها عليه أحد حضور مجلسه. وقد تكون الحكاية مكتشفة وتنتهى بعبارة تبدو كالتقول المأثور، ونجد أن التوحيدى لا يذكر تعليقا للسيرافي على هذه الحكايات، مما يبرز إقرار السيرافي لما ورد فيها من عبارات، ومن ذلك ما ذكره التوحيدى من أنه قد «قرئ عليه [أى السيرافي]: سكر مزبد يوما وجاء إلى امرأته، فقالت: أسأل الله أن يخفض إليك النبيذ، فقال: وإليك القبيب»^(٤٣). وقال [أى السيرافي]: «وقرئ عليه: قيل لمدينى: أحب رمضان؟ قال: ما أتهنأ بشهر سائر السنة من أجله فكيف أحبه؟»^(٤٤).

وهناك من الحكايات التى ذكرها السيرافي ولم يشك التوحيدى في نسبتها إلى أستاذه، وأبرز السيرافي من خلالها نقص في معرفة العربية عند رجل من المتكلمين الكلابية. فيقول التوحيدى:

«حدثنا السيرافي أن رجلاً من المتكلمين الكلابية ييغداد بلغ من نقصه في معرفة العربية أنه قال في مجلس مشهور بين جماعة حضور: إن العبد مفطر بفتح الطاء، والله مفطر بكسر الطاء، وزعم أن القائل: الله مفطر كافر. فانظر أين يذهب به جهله، وعلى أى رذيلة دله نقصه...»^(٤٥).

وقد ينقل التوحيدى الخبر عن مصدرين أحدهما للسيرافي، إيماناً منه أن ورود الخبر عند أستاذه إنما هو دلالة على مدى صحته والثقة فيه، ومن ذلك ما ذكره التوحيدى من أنه «قال ابن المستز: وحدثني أبو سعيد عن الأثرم قال:...»^(٤٦)، إلا أن السيرافي لا يذكر تعليقا على الحكاية وما تضمنته من أبيات شعر.

أما عن المنحى الأخير فيمثل العلاقة الجدلية بين الأستاذ المعلم من ناحية، والتلميذ المتعطش للاستزادة من فيض علم أستاذه. وتجلى ذلك في علاقة طرح الأسئلة من

كان يقتبس مما كتبه. وكان يؤكد في هذا المقام نقله من خط السيرافي حتى يضيف الثقة على ما نقله عن أستاذه، وبرز هذا التأكيد من جانب التوحيدى بعبارات متعددة؛ فتارة يكتفى بقوله: «كذا كان بخط السيرافي»^(٥٠)، أو يقول: «هكذا وجدت بخط السيرافي»^(٥١). وقد يضيف إلى ذلك مزيداً من التأكيد، فيقول: «وردت بشكل وخط السيرافي»^(٥٢)، أو يقول: «هكذا كان بخط السيرافي فنقلته على هيئته»^(٥٣). كما قد يقول: «هكذا كان بخط السيرافي ونقلتها كما وجدتها وأنا أستعفى ما دونها»، في إشارة إلى عدم ثقته إلا فيما نقله عن مدونات أستاذه. وفي موضع آخر، نجد أنه يأخذ بخط أستاذه لثقتة فيما يدونه حتى إن كان ما ينقله عنه مشهوراً، فيقول: «هكذا وجدت بخط السيرافي، والخبر مشهور إلا أنني أنست بخطه»^(٥٤). وتارة أخرى يؤكد أمانته العلمية في النقل عن خط أستاذه وعدم إضافة أى شيء من عنده، بل التزم بمحاكاة خطه وشكله، فيقول في التعقيب على ما نقله عن أستاذه:

«هذا آخر ما وجدته بخط السيرافي ولم أضف إليه شيئاً.. وحكيت خطه وشكله»^(٥٥).

ثانياً: القضايا :

النصوص المنسوبة إلى السيرافي في مؤلفات التوحيدى أثارت قضايا عدة، أمكن تصنيفها في أنماط متنوعة، منها: القضايا الصرفية، والقضايا الدلالية للمفردات، والقضايا النحوية والتركيبية، وأخيراً قضايا التراكم والأساليب.

وسوف نتناول فيما يلي هذه القضايا بالبحث والتحليل والدراسة.

(أ) القضايا الصرفية :

إذا نظرنا إلى النصوص التي اقتبسها التوحيدى من أستاذه أبى حيان، والتي تتعلق ببنية الكلمة أو البحث الصرفي أو علم الصرف، وجدنا أنها قليلة، وتعالج قضايا متفرقة لا يعتمد إليها السيرافي، وإنما تأتي عرضاً ضمن تفسير أو شرح مفردات أو تراكم تكون هي المقصودة بالبحث عنده.

جانب التلميذ وانتظار الإجابة الشافية لغلته من جانب الأستاذ. ومن ذلك قال التوحيدى :

«سألت السيرافي عن قوله: (قائماً بالقسط) [آل عمران ١٨] بم انتصبت؟ قال: بالحال؛ قلت: أين الحال؟ قال: لله تعالى. قلت: أيقال لله حال؟ قال: إن الحال هي للفظ لا لمن يلفظ بالحال عنه...»^(٤٧).

وهنا نلاحظ تتابع الأسئلة من جانب التلميذ بهدف استقصاء أبعاد القضية بغية الاستزادة من علم أستاذه، وما يقابله من كرم الأستاذ وسعة صدره في توالى إجاباته عن أسئلة تلميذه.

وإذا كان التساؤل السابق عن مسألة تتعلق بآية من القرآن الكريم، نجد التوحيدى يتوجه بالسؤال لأستاذه بقوله :

«سألت السيرافي عن قولهم بررت إذا قالوا: صدقت وبررت، فقال: صدقت صدقاً نافعاً كأنك لم تصدق صدقاً بحتاً، ولكنك وصلته بالبر والراء مكسورة في بررت»^(٤٨).

وقد يتخذ الأستاذ جانب المسائل الذي يطرح سؤالاً على تلاميذه، ولكن الهدف لم يكن الحصول على إجابة بقدر ما كان يرغب في اختبار مدى ما حصلوه من علمه، وبعد ما استمع إلى ردهم اتخذ سمت الأستاذية وذكر لهم الرأي الصائب، ومن ذلك ما ذكره التوحيدى عن عبارة «مآلات فلانة»:

«فإن السيرافي سأل أهل المجلس يوماً عنه فقال بعضهم: ما مآلهم نفسى ولا مآلؤنى، فكأنه مفاعلة من الملاء، فقال: قاربت، ولكن معناه الصحيح: ما دخلت في ملاءهم، وإنما قيل للملاء المآل لأنهم يملأون العين جهازة والنفس جلاله»^(٤٩).

(ب) النصوص المأخوذة عن خط السيرافي :

كان التوحيدى معتزاً بأستاذه السيرافي، كثير النقل عنه لثقتة فيه، فلم يكتف بحضور مجالسه والاستماع إليه، بل إنه

۲۲۸

وتطرق السيرافي بالحديث كذلك لبعض المفردات التي بها حروف زائدة، ومن ذلك قول التوحيدى: «سألت السيرافي عن الزباج ماهو، قال: السىء الخلق، والنون زائدة»^(٧١)، ومن ذلك أيضا قوله:

«سألت السيرافي عن قول من قال: المزاح سمي مزاحاً لأنه أزيح عن الحق، فقال: هذا محكى عن ابن دريد، وهو باطل، والميم من سنخ الكلمة في «مزحت أمزح» ومن «أزيح» تكون زائدة»^(٧٢).

ومن القضايا التي أثارها التوحيدى على لسان السيرافي شيوع صيغ خاطئة، ومن ذلك قول التوحيدى:

«أما المعزول فمعروف، يقال: عزل الوالى أى صرف عن عمله، وانعزل فلان خطأ، وكان السيرافي يأباه ونظائر له، كقول العامة يندبح وينقتل وينحفظ وينضبظ وينصرع، وقال غيره: جائز مقبول»^(٧٣).

وفى الإطار نفسه ذكر التوحيدى أن:

«قول الكتاب «انضاف هذا إلى هذا، وسينضاف» كلمة خطأ، كذا قال أبو سعيد السيرافي سمعت ذلك منه لفظاً، وتتبع ذلك فى كلام الأولين وهم الحجة فما عثرت عليه...»^(٧٤).

وأخيراً، فهناك من النصوص التي اقتبسها التوحيدى ما تعرض فيها السيرافي لدلالات بعض الصيغ الصرفية، ومن ذلك حديثه باستفاضة عن الطبيعة، وهل هى فعيلة بمعنى فاعلة، أو بمعنى مفعولة^(٧٥).

(ب) القضايا الدلالية للمفردات:

تنوعت المقولات المتعلقة بالقضايا الدلالية فى كتابات السيرافي التي اقتبسها التوحيدى بين مقولات نظرية وأخرى وردت فى سياق تفسيره للدلالات المعجمية للمفردات.

* ولقد كانت قضية اللفظ والمعنى من المباحث النظرية التي شغلت حيزاً من كتابات السيرافي التي اقتبسها التوحيدى، فلقد ذكر أبو سعيد - فى المناظرة التي دارت بينه وبين أبى بشر متى -:

نعالى: «إن هؤلاء ضيفى» (الحجر: ٦٨)، وقال: «فأبوا أن يضيفوهما» (الكهف: ٧٧)»^(٦٥).

كما ورد حديثه عن المصدر باعتباره من المشتقات، وذلك فى إطار تفسير السيرافي لكلمة «النعى»، حيث قال التوحيدى:

«سمعت أبا سعيد السيرافي يقول: النعى مصدر نعى ينعى، والنعى - بالتشديد - الناعى، والناعى هو الخبير بالموت...»^(٦٦).

* ومن النصوص التي اقتبسها التوحيدى من أستاذه السيرافي ما يتعلق بالصيغ الصرفية أو الميزان الصرفي، فكان منها ما يتعلق بصيغ المصادر، ومن ذلك قول أبى حيان:

«قال شيخنا أبو سعيد السيرافي الإمام: المصادر كلها على تفعال بفتح التاء، وإنما تجئ تفعمال فى الأسماء وليس بالكثير، وذكر بعض أهل اللغة منها ستة عشر اسماً لا يوجد غيرها»^(٦٧).

ثم ذكر التوحيدى هذه الأسماء:

«ومنها التبيان، والتلقاء، ومر بهواء من الليل وتبراك، وتمشار، وهى مواضع، وتمساح للداة المعروفة، والتمساح الرجل الكذاب أيضاً، وتجفاف وتمثال، وتمراد: بيت الحمام، وتلفاق، وهو ثوبان يلفقان، وتلقام: سريع اللقم»^(٦٨).

وتحدث السيرافي عما ينصرف وما لا ينصرف فى حالة التصغير، فلقد «قال أبو سعيد السيرافي: فى الأسماء المصروفة ما إذا صغر منع الصرف، وفى الأسماء ما لا ينصرف، وإذا صغر صرف، وفيها ما لا ينصرف فى مصغر ولا مكبر... إلخ»^(٦٩).

وهناك من القضايا الخاصة بالصيغ الصرفية التي أثارها السيرافي واقتبسها التوحيدى، والتي كانت تدور حول الصيغة الصرفية لكلمة، ومن ذلك حديث السيرافي عن كلمة زيتون، حيث:

«قال أبو سعيد: (زيتون) يجوز أن يكون فيعولا وفعلولاً، وهو أولى لأنه من الزيت وقد لزم الواو»^(٧٠).

«قدر اللفظ على المعنى فلا يفضل عنه، وقدر المعنى على اللفظ فلا ينقص منه؛ هذا إذا كنت فى تحقيق شئ على ما هو به. فأما إذا حاولت فرش المعنى وبسط المراد فاجل اللفظ بالروادف الموضحة والأشياء المقربة، والابتعارات الممتعة، وبين المعانى بالبلاغة، أعنى لَوْح منها لشيء حتى لا تصاب إلا بالبحث عنها والشوق إليها، لأن المطلوب إذا ظفر به على هذا الوجه عز وحلا، وكرم وعلا؛ وأشرح منها شيئاً حتى لا يمكن أن يمتري فيه، أو يتعب فى فهمه أو يعرج عنه لاغتماضه؛ فهذا المذهب يكون جامعاً لحقائق الأشياء ولأشياء الحقائق» (٧٦).

فالسيرافى يرى أن:

«المعانى ليست فى جهة، والألفاظ فى جهة، بل هى متمازجة متناسبة، والصحة عليها وقف، فمن ظن أن المعانى تخلص له مع سوء اللفظ... وقبح التأليف والإخلال بالإعراب، فقد دل على نقصه وعجزه» (٧٧).

وبعبارة أخرى، فإن السيرافى يرى أنه يجب أن يكون اللفظ على قدر المعنى فلا يجور أحدهما على الآخر، لأن المعانى والألفاظ على حد قوله متمازجة متناسبة. فإذا تطلب الأمر بسط المعنى لبيان وتوضيحه، فيجب أيضاً استجلاء اللفظ - على قوله - بالروادف الموضحة والأشياء المقربة، وذلك لأن المطلوب إذا ظفر به على هذا الوجه عز وحلا، وكرم وعلا. ورغم مقولته بأن الألفاظ والمعانى متمازجة متناسبة، فإنه يظل لكل منهما هويته الخاصة به، فهو يرى أن «الخلاف بين اللفظ والمعنى أن اللفظ طبعى والمعنى عقلى؛ ولهذا كان اللفظ بائداً على الزمان، لأن الزمان يقف أثر الطبيعة بأثر آخر من الطبيعة، ولهذا كان المعنى ثابتاً على الزمان، لأن مستملى المعنى عقل، والعقل إلهى، ومادة اللفظ طينية، وكل طينى متهاون» (٧٨).

وليس أدل على فصله بين اللفظ والمعنى من عبارته التى يحاور فيها أبا بشر متى، حيث يقول له :

«إذا سألتنى عن شئ أنظر فيه، فإن كان له علاقة بالمعنى وصح لفظه على العادة الجارية أجبت، ثم لا أبالى أن يكون موافقاً أو مخالفاً، وإن كان غير متعلق بالمعنى رددته عليك وإن كان متصلاً باللفظ ولكن على وضع لكم فى الفساد على ما حشونتم به كتبكم رددته أيضاً» (٧٩).

* وتبرز قضية الترادف خلال معالجة السيرافى لقضية اللفظ والمعنى، حيث يرى أنه إذا تطلب الأمر بسط المعنى لبيان وتوضيحه، فيجب أيضاً استجلاء اللفظ بالروادف الموضحة والأشياء المقربة، أو باستخدام الألفاظ المترادفة، فيقول :

«إذا حاولت فرش المعنى وبسط المراد فاجل اللفظ بالروادف الموضحة والأشياء المقربة...» (٨٠).

فهذا يكشف اقتناعه بوجود المترادفات فى اللغة وأنها ليست من قبيل العيب أو السرف الفكرى، بل هى ضرورة منطقية أوجبتها الحاجة للتمييز بين الفروق الدقيقة القائمة بين المعانى المتشابهة أو المتداخلة، لأنه «يجب أن يكون بين كل لفظتين - إذا تواقعتا على معنى، وتعاورتا عرضاً - فرق» (٨١).

* وكان لقضية تعدد المعنى جانب من اهتمام السيرافى جعله يقر المقولة التى ذكرها رجل من أهل الأدب عن تعدد المعنى، فلقد قال التوحيدى :

«سمعت فى مجلس أبى سعيد شيخاً من أهل الأدب يقول: ومن الأفعال ما له وجهان. كشيء ينصرف على معنيين، مثل: أصاب عبدالله مالا، وأصاب عبدالله مال، إذا أصابه مال من قسمة، ووافق زيد حديثاً، إذا صادفهم يتحدثون، ووافق زيداً حديثاً إذا سره وأعجبه، وأحرز زيد سيفه إذا صانه فى غمده، وأحرز زيداً سيفه إذا خلصه من القتل وشبهه؛ ولو قلت أحرز امرؤ أجله لم يجز، لأن الرجل لا يحرز أجله، ولكن أجله يحزره إلا أن تذهب إلى قولك: أحرزت أجلى بالعمل الصالح» (٨٢).

طرة الغلام وطرة الشوب. فأما طر - بالفتح -
فمعناه نبت، يقال طر وبر الناقة إذا بدا صغارها
وناعمه^(٨٧).

وفي مواضع أخرى يذكر المعاني المختلفة للكلمة
الواحدة، من قبيل تعدد المعنى للصيغة اللغوية الواحدة، على
نحو ما ورد الحديث عنه أنفاً بصدد كلمة «الضرة»^(٨٨) في
إطار حديثنا عن قضية تعدد المعنى.

وفي أحوال أخرى يقوم بتأصيل الكلمة، ثم يذكر
معناها، ومن ذلك قول السيرافي :

«والرف... هو من كلام العرب، وهو الذي
يضاف إلى الحائط ليوضع عليه شيء»^(٨٩).
ونحو قوله :

«أما المقلول فالذي تضرب قلته، لا أعرف غير
ذلك، وقول العامة هذا على المقلول خطأ لا وجه
له في العربية البتة»^(٩٠).

ومن منهجه أيضاً، بصدد الحديث عن دلالات
الألفاظ، ذكره معنى الكلمة ثم يبين الزائد عن صيغتها
الصرفية، فمن ذلك قول التوحيدى «سألت السيرافي عن
الزنباع ما هو، قال: السوء الخلق، والنون زائدة»^(٩١).
كذلك كان يذكر معنى اللفظة ثم يذكر الصيغ الصرفية
الخاطئة^(٩٢).

(ج) القضايا النحوية التركيبية :

تتناول دراستنا لهذه القضايا أربعة مباحث، أول هذه
المباحث يتصدى للقضايا النظرية في علم النحو من خلال ما
اقتبسه أبو حيان من أستاذه أبي سعيد السيرافي، وثانيها
يتصدى بالدراسة للمصطلحات النحوية التي تعرضت لها
النصوص، وثالثها يقوم بدراسة التراكيب والأساليب، وآخرها
يعالج قضايا النحو وأثره في العروض وفق ما كشفت عنه
نصوص السيرافي في كتابات التوحيدى.

المبحث الأول: القضايا النظرية:

* شغلت قضية الفرق بين النحو والمنطق قدراً كبيراً
من اهتمام السيرافي، فأفاض في الحديث فيها خاصة في

فمن هذا النص تبرز قضية تعدد المعنى، حيث الكلمة
الواحدة قد تكون ذات معنيين أو أكثر، إلا أن النص هنا قصر
هذه القضية على الأفعال بينما هي كائنة أيضاً في الأسماء،
ومن ذلك ما ورد عنده بصدد الحديث عن كلمة «الضرة»^(٨٣) حيث ذكر معانيها المتعددة.

* وفي إطار الحديث عن دلالة المفردات، عمد أبو
سعيد إلى منهج اطرده استخدامه له بصدد تفسيره للمفردات؛
حيث دأب على ذكر المعنى المباشر للكلمة، ثم التعرض
لمشتقات الكلمة مع ذكر معانيها. وفي كثير من الأحيان
يعلق على الكلمة بعد ذكر معناها بقوله: «هذا اللفظ
غريب»^(٨٤). ومن النماذج الممثلة لهذا المنهج قوله في
التعليق على كلمة وردت في أبيات من الشعر، فذكر أن
الشاعر :

«يريد باللأمة اللؤم، هذا لفظ غريب، فإن اللأمة
الدرع، وكذلك يقال: استلأم الرجل إذا دخل
في شكته، والشكة: السلاح؛ فأما استلم - بغير
همز - فلمس الحجر، والحجر هو السلام،
والألأم: اللثام، والملائم: الخصال اللثيمة، فأما
اللاوم فالعمايب، ومنه «فأقبل بعضهم على بعض
يتلاومون» (القلم ٣٠)..^(٨٥)

وفي أحوال أخرى كان يبدأ بذكر اشتقاقات الكلمة،
وكيفية نطقها قبل أن يذكر معناها، ومن ذلك قول
التوحيدى:

«سمعت أبا سعيد يقول: النعى مصدر نعى ينعى.
والنعى - بالتشديد - الناعى، والناعى هو المخبر
بالموت»^(٨٦).

وتارة أخرى يعلق السيرافي على نطق كلمة وردت في
أبيات من الشعر، ويحذر من نطقها على نحو معين يؤدي بها
إلى دلالة ليست هي المقصودة في الأبيات، ثم يذكر نطقها
الصحيح الذي يؤدي إلى المعنى الذي ترمى إليه اللفظة في
سياق الأبيات. فمن ذلك ما ذكره التوحيدى في التعليق
على لفظة وردت في أبيات من الشعر :

«سمعت السيرافي يقول: إياك أن تنشُد: طُر
شاربى. لأن طر قطع. ومنه الطار والطرار، ومنه

مناظرته مع أبى بشر متى، التى أوردها أبو حيان فى كتابه (الإمتاع والمؤانسة)، بالإضافة إلى مقولات عدة فى كتابه (المقابسات).

فالسيرافى يرى أن «النحو هو عيار الأشياء، وحلى الألسن، وجلاء الأسماع»^(٩٣)، فهو يرى أن النحو، بالإضافة إلى دوره فى تمييز الأشياء وتحديد معانيها، يضيف على الكلام حسن الصنعة بما يضيفه عليه من الفصاحة، ويربح الأذن لكونه فصيحاً ينسجم مع الذوق اللغوى، وذلك لأن :

«صحيح الكلام من سقيمه يعرف بالنظم المألوف والإعراب المعروف إذا كنا نتكلم بالعربية؛ وفاسد المعنى من صالحه يعرف بالعقل إذا كنا نبحت بالعقل»^(٩٤).

أى أن النظم المألوف والكلام المعروف هو الطريق إلى معرفة صحيح الكلام من فاسده إذا كان الجديث بالعربية. أما صلاح المعنى من فساد، فيعرف بالعقل وليس بالمنطق. المنطق مجرد شكل وصياغة، أما الحدس فهو أداة المعرفة، والتجربة المباشرة طريق إليها. وفهم الكلام بالقصد وليس بالمنطق، فالمعنى قصد، والقصد شعورى وليس عقلياً، يعبر عنه فى كلام تعرف قواعده بالنحو.

«والنحو يرتب اللفظ ترتيباً يؤدي إلى الحق المعروف أو العادة الجارية. والحاجة إلى النحو أكثر من الحاجة إلى المنطق»^(٩٥). فعند أهل النحو تغنى اللغة عن المنطق. فاللغة منطق العرب كما أن المنطق لغة اليونان. والكلام والمنطق واللغة واللفظ والإفصاح والإعراب والإبانة والحديث والإخبار والاستخبار والغرض والتمنى والنهاى والحض والدعاء والنداء والطلب منطق العرب. النحو منطق ولكنه مستمد من اللغة العربية، والمنطق نحو ولكنه مفهوم باللغة^(٩٦).

أما عند أهل المنطق، فالخلاف بين النحو والمنطق هو خلاف بين اللفظ والمعنى، والمعنى أهم من اللفظ. اللفظ طبعى والمعنى عقلى. لهذا كان اللفظ بائداً فى الزمان؛ لأن الزمان يقف أثر الطبيعة بأثر آخر من الطبيعة. والمعنى ثابت على مر الزمان لأنه مستمد من العقل، والعقل إلهى. اللفظ طينى مادى والمعنى روحى سماوى^(٩٧). لذلك، لا يحتاج المنطق إلى النحو فى حين أن النحو فى حاجة إلى المنطق.

المنطق يبحث عن المعنى والنحو يبحث عن اللفظ. وتناول المنطق اللفظ بالعرض، وإن تناول النحوى المعنى فبالعرض. والمعنى أشرف من اللفظ واللفظ أوضع من المعنى. فعند المنطقى المنطق والنحو تخصصان متميزان، المنطق للمعنى والنحو لللفظ. ولوسئل المنطقى عن النحو لما أفاده، ولو سئل النحوى عن المنطق لما عرف^(٩٨). ولذلك، قال أبو بشر متى لتبرير عجزه عن تفسير بعض التراكيب النحوية التى طرحها عليه السيرافى:

«لو ثرت أنا أيضاً عليك من مسائل المنطق أشياء لكان حالك كحالى»^(٩٩).

ورفض السيرافى هذا التمايز بين المنطق والنحو. فإن النحو ينظر فى علاقة اللفظ بالمعنى من حيث سلامة اللفظ وجريه على العادة. وإذا لم يكن اللفظ متعلقاً بالمعنى فإنه يكون خارج البحث ولا يرد إلى المنطق ولا إلى النحو؛ إذ يكون مجرد حشو. ولا توجد لغة موازية للغة الألفاظ المقررة بين أهلها. لغة المنطق كالسبب والآلة والإيجاب والموضوع والمحمول والكون والفساد والمهمل والمحصور أقرب إلى المعنى والفهامة منها إلى اللغة والمنطق. والمنطقى لا يعرف النحو ويخوض فيه، ولا يعرف الشعر والخطابة ويخوض فيهما. وقول المنطقى إن النحوى ينظر فى اللفظ دون المعنى وإن المنطق ينظر فى المعنى دون اللفظ مجرد ادعاء؛ لأن المنطقى يجيل فكره فى المعانى ويرتب ما يريد بالسانح والخابر والحدس والوهم. فإذا ما أراد التعبير عن ذلك للمتعلم والمناظر له فإنه يحتاج إلى اللفظ الذى يشتمل على مراده ويكون مطابقاً لقصده، ولهذا يرفض السيرافى ثنائية اللفظ والمعنى نظراً لحاجة كل منهما إلى الآخر^(١٠٠).

ويرى السيرافى أن الفرق بين المنطق والنحو يتلخص فى أن النحو من الفطرة والطبيعة، والمنطق من العقل والصنعة مما قد يغنى الإنسان عن المنطق دون النحو. فعند السيرافى يغنى الطبع والفطرة والبديهة وعادة الناس فى الكلام عن المنطق. فالإنسان يتعلم من اللغة أولاً بالنشأة والوراثة، بالطبيعة والاكْتِسَاب قبل المنطق الذى هو اجتهاد فى المعنى بالنظر والرأى. وإذا كانت الحاجة ماسة إلى كتاب (البرهان) كما يقول أهل المنطق فكيف استدل الناس قبل ظهور علم المنطق؟ وإذا كان الناس قد استطاعوا البرهنة قبل كتاب

بالتقديم والتأخير وتوخي الصواب في ذلك وتجنب الخطأ من ذلك، وإن زاغ شيء عن هذا التعت فإنه لا يخلو من أن يكون سائفا بالاستعمال النادر والتأويل البعيد، أو مردوداً لخروجه عن عادة القوم الجارية على فطرتهم. فأما ما يتعلق باختلاف لغات القبائل فذلك شيء مسلم لهم ومأخوذ عنهم، وكل ذلك محصور بالتبعية والرواية والسماع والقياس المطرد على الأصل المعروف من غير تحريف^(١٠٤).

فالسيرافي يرى أن هناك معايير عدة تحدد لنا معنى التركيب النحوي، وتتضافر جميعها لتعطي الدلالة المقصودة من هذا التركيب. ومن بين هذه المعايير صياغة الكلمة وبنيها، وهي ما أشار إليه بعبارة «حركات اللفظ وسكنته». ثم أشار إلى الأدوات التي تقيم علاقة بين لفظ وآخر داخل التركيب النحوي، وعنى به «وضع الحروف في مواضعها المقتضية لها»، إذ إن استبدال حرف بآخر قد يغير دلالة التركيب النحوي. ثم وجدنا عن معيار نظم المفردات داخل التركيب وما يؤدي إليه التقديم والتأخير في تأليف الكلام ونظمه من إبراز دلالة التركيب النحوي وإعكاسه على جماليات الكلام وما تحدته من أثر في نفس المتلقي. كما أشار السيرافي إلى أن هذه المعايير إنما تتم وفق قواعد تحكمها. ولكن ليس كل خروج عن هذه القواعد يعد خطأ؛ لأنه قد يكون سائفاً في أحيان كثيرة بالاستعمال النادر والتأويل البعيد، أو قد يكون مردوداً لخروجه عن عادة القوم الجارية على فطرتهم. والتمييز بين هذا وذاك إنما هو محصور بالتبعية والرواية والسماع والقياس المطرد على الأصل المعروف من غير تحريف.

* ومن القضايا النحوية التركيبية كذلك قضية معاني الحروف، وهي مرتبطة بقضية معاني النحو التي تحدثنا عنها آنفاً، وذلك لأنه إذا كان وضع الحروف في مواضعها المقتضية لها في التركيب النحوي له أهميته الحيوية في نظم الكلام وتأليفه، فإن معرفة معاني الحروف يكون حيويًا لإدراك أي منها نستعمله ليكون منسجماً مع تأليف الكلام من ناحية، وللوصول إلى الدلالة المنشودة من هذا التركيب النحوي من ناحية أخرى. فمن المعاني التي قيلت:

(البرهان) فإنهم قادرون على ذلك بعده ودون معرفته، ومن ثم يمكن الاستغناء عنه؛ خاصة لو كان تخليطاً وزرقاً وتهويلاً ورعداً وبرقاً. كل المنطق، أشكاله، قضاياها، وطرق استدلاله، خرافات وترهات، ومغالق وشبكات، يغني عن ذلك كله جودة العقل، وحسن التمييز، ولطف النظر، وثقب الرأي، ونور النفس بعون الله وفضله، ومن منح الله الهدية، ومواهبه السنينة، يخص بها من يشاء من عباده. ويجهل أهل المنطق النحو من بدل ووجوه، ومعرفة وأقسامها، ونكرة ومراتبها. ولا يكفي أن يكون المنطق من عمل العقل؛ لأن المنطق على وجوه عدة منها اللغة واللسان، في حين أن النحو يساعد على فهم المراد من الكلام وقدر اللفظ على المعنى، فلا يفضل عنه، وقدر المعنى على اللفظ فلا ينقص عنه^(١٠١).

ويرى السيرافي أنه برغم وجود الاختلافات بين النحو والمنطق، فإن هناك نوعاً من التكامل بينهما؛ إذ لما كان النحو منطق اليونان، وكان المنطق نحو العرب، فالمنطق نحو عقلية، والنحو منطق عربي. المنطق لغة الفكر، والنحو منطق اللغة. فالخلاف بين المنطق والنحو ظاهري يعبر فقط عن خصائص الشعوب، اليونان والعرب. ولكنهما وظيفياً يؤديان المهمة نفسها، الضبط والإحكام، والتقنين والتفصيل. فهو يرى أن المنطق عقلية والنحو طباعية، ولما كان المنطق بالعقل والنحو بالطبع وكان الطبع أقرب إلينا من العقل، وكانت الحاجة إلى النحو أشد من الحاجة إلى المنطق، وكان النحو أول مباحث الإنسان في حين إن المنطق آخر مطالبه. لذلك، فإنك إذا قلت لإنسان: «كن منطقياً» فإنك تريد: كن عقلياً أو عاقلًا، أو اعقل ما تقول... وإذا قال لك آخر: «كن نحويًا لغويًا فصيحاً» فإنما تريد: «افهم عن نفسك ما تقول، ثم رم أن يفهم عنك غيرك»^(١٠٢). فالبحث عن المنطق قد يرمى بك إلى جانب النحو، والبحث عن النحو يرمى بك إلى جانب المنطق، ولولا أن الكمال غير مستطاع لكان يجب أن يكون المنطق نحويًا، والنحو منطقياً^(١٠٣).

* ومن القضايا النظرية في إطار القضايا النحوية التركيبية، قضية معاني النحو، حيث يرى:

«أبو سعيد أن معاني النحو منقسمة بين حركات اللفظ وسكنته، وبين وضع الحروف في مواضعها المقتضية لها، وبين تأليف الكلام

«إن «فى» هى للوعاء، وإن «فى» تقال على وجوه: يقال: «الشئ فى الإناء»، «والإناء فى المكان»، «والسائس فى السياسة فى السائس»... كما يقولون إن الباء للإلصاق» (١٠٥).

وفى إطار الحديث عن وضع الحروف والأدوات فى مواضعها المقتضية لها وفقا لما تقتضيه دلالة التركيب النحوى، نتحدث السيرافى عن استعمال «ما» لغير العاقل، و «من» للعاقل، وذلك من خلال شرحه لقوله تعالى: (فانكحوا ما طاب لكم من النساء) (١٠٦)، حيث يشير إلى أن «ما» هاهنا وقعت على من يعقل، وهن النساء، والأصل أن «ما» تقع على من لا يعقل، و «من» على من يعقل، فإن هذا جائز، ألا ترى إلى قوله «والسما وما بناها» (١٠٧)، أى: ومن بناها، وإن كان قد قيل فيه وجه آخر هو: «والسما وما بناها» أى وبناؤها؛ قال: ويجوز أن تكون «ما» هاهنا بمنزلة «الذى»، كأنه قال: الذى طاب لكم من النساء، فإن قيل على هذا الوجه، فكيف تكون بمعنى الذى وهو للمذكر، قيل: هذا يجوز لأنه عبارة عن الجنس، ألا ترى إلى قولك: من فى الدار صحيح، مع علمك أن فى الدار امرأة أو رجلا، وكما قال تعالى: «النار الذى كنتم به تكذبون» (١٠٨)، ويكون هاهنا عائداً على اللفظ نفسه؛ قال: وهذا وجه صالح. قال: ويجوز على معنى ثالث وهو أن تكون «ما» عبارة عن أى وقت وزمان كأنه قال: «وانكحوا من النساء ما طاب أى وقت طاب، وقال: إن صح هذا فهو جيد» (١٠٩).

وبالإضافة إلى حديث السيرافى عن معانى الأدوات والحروف، نتحدث أيضا عن معنى الضمير «هو»؛ فلقد قال أبو سعيد السيرافى: «هو» عبارة عن اسم منكور، كما أن قولنا «فلان» عبارة عن كل اسم علم ما يعقل» (١١٠). كما ذكر أن «النكرة أخف من المعرفة. لأن النكرة حال الاسم فى الأول...» (١١١).

* ومن بين القضايا النحوية التركيبية قضية الإعراب ومفهوما؛ حيث قال التوحيدي:

«سمعت أبا سعيد السيرافى يقول: والإعراب حركة تحل بآخر حرف من الاسم كالدال من

زيد، وكان غيره يقول: الأسماء أصول «والأفعال فروع منها» (١١٢). وهو يرى أن:

«صحيح الكلام من سقيمه يعرف بالنظم المؤلف والإعراب المعروف إذا كنا نتكلم بالعربية» (١١٣).

ولما كان «من يتكلم بالإعراب والصحة ولا يلحن ولا يخطئ» ويجرى على السليقة الحميدة والضرية السليمة قليل أو عزيز، فإن الحاجة شديدة إلى «من عدم هذه السجية وهذا المنشأ إلى أن يتعلم النحو ويقف على أحكامه ويجرى على منهاجه، ويفى بشروطه فى أسماء العرب وأفعالها وحروفها وموضوعاتها ومستعملاتها ومحملاتها؛ ومتى اتفق إنسان بهذه الحلية وعلى هذا النجار، فلعمري إنه غنى عن تطويل النحويين كما يستغنى قارض الشعر بالطبع عن علم العروض...» (١١٤).

ولقد نظر السيرافى إلى اللحن فى اللغة نظرة اجتماعية، أو بعبارة أخرى نظرة طبقية، فلقد قال السيرافى:

«سمعت نبطويه يقول: «لحن الكبراء النصب والجسر، ولحن الأواسط الرفع، ولحن السفلة الكسر» (١١٥).

المبحث الثانى

المصطلحات النحوية:

تناولت النصوص المنسوبة إلى السيرافى فى كتابات التوحيدي مصطلحات نحوية عدة، منها ما يتعلق بالاستثناء ومنها ما يتعلق بمعنى، وكذلك ما يتعلق بالأسماء المصروفة وغير المصروفة.

* أما عن الاستثناء فقد تحدث عن قضيتين، هما: «حاشاء»، و «غير».

وبعد أن يسوق أبو حيان قول السيرافى فى ذلك، يعلق بقوله: «هذا آخر كلام أبى سعيد، سقته لأنه تمام المعنى فى لفظ مختلف فيه» (١١٦).

وفى باب الاستثناء أيضا تحدث السيرافى عن «غير» - وهى أحد أدوات الاستثناء - ولكنه ذكر أنها تستعمل

بمعنى «مثل»، وذلك فى تعليقه على ثلاثة أبيات وردت كلمة «غير» فى واحد منها، فلقد قال حارثة بن بدر الغداني: [البسيط]

يا كعب ما طلعت شمس ولا غربت

إلا تقرب أجالا لميعاد

يا كعب صبرا على ما كان من حدث

يا كعب لم يبق منا غير أجلا

إلا بقيات أنفاس نحشرجها

كسراجل رائح أو ياكسر غاد

قال أبو سعيد: «فإن «غير» هاهنا بمنزلة «مثل»، كأنك قلت: لم يبق منا أجساد إلا بقيات أنفاس، وعلى هذا أنشد الناس هذا البيت للفرزدق: [البسيط]

ما فى المدينة دار غير واحدة

دار الخليفة إلا دار مروانا

جعلوا «غير» صفة بمنزلة مثل، ومن جعله بمنزلة الاستثناء لم يكن له بد من أن ينصب أحدهما، وهو قول ابن أبى إسحاق: (١١٧).

* أما عن «عسى» فقد «قال أبو سعيد: فى عسائك وعسانى ثلاثة أقوال:

أحدها قول سيبويه، وهو أن عسى حرف بمنزلة لعل ينصب ما بعدها وهو الاسم، والخبر مرفوع والكاف اسمها وهى منصوبة، واستدل على النصب فى عسائك بقول: عسانى، والنون والياء فيما آخره الألف لا تكون إلا للنصب.

والقول الثانى قول الأخفش: إن الكاف والياء والنون فى موضع رفع، وحجته أن لفظ النصب استعير للرفع فى هذا الموضع كما استعير له لفظ الجر فى لولاي ولولاك.

والقول الثالث قول المبرد: إن الكاف والياء والنون فى عسائك وعسانى فى موضع نصب بمعنى، فإن

اسمها فيها مرفوع، وجعله كقولهم: عسى الغوير أبوساً، وحكى أنه قدم فيها الخبر لأنها فعل، وحذف الفاعل لعلم المخاطب به فعل صحيح لا يدخله الاختلاف فيه» (١١٨).

* كما يذكر التوحيدى قول السيرافي فى الأسماء المصروفة:

«ما إذا صغر منع الصرف، وفى الأسماء مالا ينصرف، وإذا صغر صرف، وفيها مالا ينصرف فى مصغر ولا مكبر... إلخ» (١١٩).

المبحث الثالث:

التركيب والأساليب:

كشفت النصوص المنسوبة إلى السيرافي فى كتابات التوحيدى عن قضايا تركيبية وأسلوبية عدة، عالجهما السيرافي من نواح عدة، منها ارتباط دلالة التركيب بضبط إحدى مفرداته، ومنها استخدام أداة مكان أخرى وما يثيره ذلك من تأويلات دلالية مختلفة، ومنها أيضا الحديث عن فروق دلالية بين تراكيب بينها قدر من الاختلاف فى التركيب، وأخيرا التراكيب التى تبرز أثر النحو فى حدوث الضرورة الشعرية.

* أما عن ارتباط دلالة بعض التراكيب بضبط إحدى مفرداته، فقد تجلّى ذلك فى تعليق السيرافي على تراكيب عدة، منها:

الحديث عن انتصاب كلمة «قائما» على الحال فى قوله تعالى: «قائما بالقسط» (١٢٠)، فلقد قال أبو حيان سألت السيرافي عن قوله «قائما بالقسط» بم انتصبت «قائما»؟ قال: بالحال، قلت أين الحال؟ قال: لله تعالى، قلت أيقال لله حال؟ قال: إن الحال هى للفظ لا لمن يلفظ بالحال عنه. ولكن الرحمة لا تستوفى حقيقة المعنى فى النفس إلا بعد تصوع الوهم. هذه الأشياء صناعة تسكن إليها النفس ويقنع بها القلب» (١٢١).

* أما عن استخدام أداة مكان أخرى وما يثيره ذلك من تأويلات دلالية، فمنها قول التوحيدى: «سمعت السيرافي يقول «فانكحوا ما طاب لكم من النساء» (١٢٢). «ما» هاهنا

وقعت على من يعقل، ومن النساء، والأصل أن «ما» تقع على من لا يعقل و«من» على من يعقل، فإن هذا جائز؛ ألا ترى إلى قوله «والسما» وما بناها» (١٢٣)، أى ومن بناها، وإن كان قد قيل فيه وجه آخر هو: «والسما» وما بناها» أى وبناها؛ قال: ويجوز أن تكون «ما» هاهنا بمنزلة «الذى»، كأنه قال: الذى طاب لكم من النساء، فإن قيل على هذا الوجه، فكيف تكون بمعنى الذى وهو للمذكر، قيل: قد يجوز لأنه عبارة عن الجنس، ألا ترى إلى قولك: من فى الدار صحيح، مع علمك أن فى الدار امرأة أو رجلا، وكما قال تعالى «النار الذى كنتم به تكذبون» (١٢٤)، ويكون هاهنا عائدا على اللفظ نفسه؛ قال: وهذا وجه صالح. قال: ويجوز على معنى ثالث وهو أن تكون «ما» عبارة عن أى وقت وزمان كأنه قال: وانكحوا من النساء ما طاب أى وقت طاب، وقال: إن صح هذا فهو جيد» (١٢٥).

* أما عن الفروق الدلالية بين تراكيب بينها قدر من الاختلاف وقدر من التشابه فى التركيب، فمنها:

عبارة «زيد أفضل الإخوة» ومدى اختلافها دلاليا عن عبارة «زيد أفضل إخوته» (١٢٦).

ومن التراكيب التى أدلى فيها السيرافى برأيه فى دلالتها، قول أبى حيان:

«قلت لأبى سعيد السيرافى شيخ الدنيا: قال أبو زيد: يقال: إنه لكثير فضيض الكلام، أيراد بهذا مدح المذكور أم الزرابة عليه؟

فقال لى: هو إلى الزرابة أقرب؛ لأن الفض كسر، ومنه: فضضت ختم الكتاب، ومنه: ضربه فصار فضاضا؛ والصحيح خير من المكسور، وكأنه يراد بهذا أنه يرمى بالكلام مكسرا غير صحيح» (١٢٧).

ومن التراكيب التى ساقها لوجود فروق دلالية بينها دون أن يفسرها أو يعلق عليها:

«لهذا على درهم غير قيراط؛ ولهذا الآخر على درهم غير قيراط» (١٢٨) وكذلك عبارة: «قال رجل لصاحبه: «بكم الثوبان المصبوغان». وقال آخر: «بكم ثوبان مصبوغان». وقال آخر: «بكم ثوبان مصبوغين» (١٢٩).

ومنها أيضا قوله: «قال قائل: «من الكلام ما هو مستقيم حسن، ومنه ما هو مستقيم محال، ومنه ما هو مستقيم قبيح ومنه ما هو محال كذب، ومنه ما هو خطأ» (١٣٠).

ومن التراكيب التى ساقها دون تفسير أو تعليق كذلك قول السيرافى:

«قال قائل: «لفلان من الحائط إلى الحائط» ما الحكم فيه؟ وما قدر المشهود به لفلان؟ فقد قال ناس: له الحائطان معا وما بينهما. وقال آخرون له النصف من كل منها. وقال آخرون: له أحدهما...» (١٣١).

ولقد علق السيرافى على التراكيب السابقة بقوله إن «علاقتها بالمعنى العقلية أكثر من علاقتها بالشكل اللفظي» (١٣٢).

ومن التراكيب التى ذكرها السيرافى، والتى تبرز أثر النحو فى حدوث الضرورة الشعرية، ما ذكره التوحيدى من أنه قد

«حكى أبو سعيد السيرافى أنه دخل إلى مسجد ابن دريد ورجل ينشد: [الوافر]

تغيرت البلاد ومن عليها

فوجه الأرض مغبر قبيح

تغير كل ذى طعم ولون

وقل بشاشة الوجه المليح

فقال أبو بكر: هذا والله عجب، أول من قال الشعر أقوى؛ قال، قلت: له مخرج فى النحو إذا ترك الإقواء، قال: ما هو؛ قلت: وقل بشاشة الوجه الصبيح، بحذف التنوين وبنصب، والتنوين يراد، ويكون نصه على مذهب التمييز...» (١٣٣).

ثالثا: أنواع أخرى من النصوص المنسوبة إلى السيرافى:

ويتناول هذا المحور الأخير من البحث دراسة أنواع أخرى من النصوص المنسوبة إلى السيرافى فى كتابات أبى حيان التوحيدى، وتشمل الشعر وشروحه، الأقوال المأثورة والحكايات والتعليق عليها.

* أما عن الشعر الذي ورد على لسان السيرافي في كتابات التوحيدى، فتراوح بين أبيات مصحوبة بتعليق عليها، وأخرى ساقها دون تعليق.

أما عن الأبيات التي ساقها مصحوبة بتعليق، فقد كان فى أغلبه لغويا، كما كان بعض هذه الأبيات من إنشاده وبعضها الآخر رواها عن آخرين.

أما عن الأبيات التي لم ينسبها إلي أحد وفى الأغلب كانت من نظمه؛ حيث ساقها ليستعين بها على تفسير معانى بعض المفردات لغويا، ومناقشة ما تثيره هذه المفردات من قضايا بعينها، فمنها قول التوحيدى:

«قال أبو سعيد السيرافي: إن هذا لزيد إذا كان المشار إليه هو زيد، وكسروا اللام ليزول اللبس، وأصلها الفتح، لأن الباب فى الحروف المفردة أن تبنى على الفتح فإذا وصلتها بالكنى عادت إلى أصلها من الفتح، وذلك قوله: إن هذا له، وإن هؤلاء لنا، لأنك تقول فى مكى المرفوع: إن هذا أنا، وإن هؤلاء لنحن، وإن هذا لهو، وأنشد: [الطويل]

وإني امرؤ من عصبة خندفية

أبت للأعادي أن تنبئ رقابها» (١٣٤)

فلقد ناقش السيرافي قضية كسر اللام وفتحها، ثم ذيل رأيه بيت من الشعر من إنشاده كشاهد على صحة رأيه. وفى موضع آخر بدأ بإنشاد أبيات هى فى الأغلب من نظمه، ثم علق عليها بالتفسير اللغوى لبعض المفردات التي وردت فيها، ولكي يدلل على صحة تفسيره؛ روى شطراً لشاعر آخر جاهلى هو طرفة بن العبد (١٣٥)

ولقد أورد السيرافي أبياتا من نظم الآخرين كشاهد على صحة رأيه إزاء مناقشته قضية لغوية. ومن ذلك تفسيره لكلمتى «الوعد» و «الوعيد»، ثم دلل على صحة تفسيره ببيت «لأبى وجزة السعدى يقول مادحا بلسانه جاريا على فطرته: [الكامل]

صدق إذا عد الرجال وأوعدوا

فأحث بادرة وأوفى موعد» (١٣٦)

كما ساق السيرافي أبياتا من الشعر لخارجى فى زيد بن على بن حسين بن على بن أبى طالب عليه السلام لما قتل: [الكامل]

يابا حسين والحوادث جمّة

أولاد درزة أسلموك وطاروا

يابا حسين لو شراة عصابة

علقتك كان لوردهم إصدار

إن يقتلوك فإن قتلك لم يكن

عاراً عليك ورب قتل عار» (١٣٧)

ثم ذيل السيرافي هذه الأبيات بالتفسير اللغوى لكلمات وردت فيها، هى: «أولاد درزة»، و«شراة عصابة»، فقال:

أولا درزة: الخياطون، وإنما يعنى أرذال الناس وسفلتهم، وشراة عصابة: مزاح عن حقه، أراد: عصابة شراة، وإنما قالوا: نحن شراة أى نحن شرينا أنفسنا أى بعناها فى ذات الله. (١٣٨)

أما عن أبيات الشعر التي أنشدها السيرافي دون تعليق، فمنها ما كان من نظم غيره، ومن ذلك قول التوحيدى:

«أنشدنا أبو سعيد: [الكامل]

أولاد درزة أسلموه ميسلا

يوم الخميس لغير ورد الصادر

تركوا ابن فاطمة الكريم جدوده

بمكان مسخرة لعين الناظر

وعزاها إلى بعض الخوارج» (١٣٩).

ومن ذلك أيضا

«أنشدنا أبو سعيد السيرافي لأبى هفان يخاطب إبراهيم بن المدبر وقد خرج مصعدا إلى بغداد من البصرة: [الرمل]...» (١٤٢)

وهناك من أبيات الشعر ما ذكره على سبيل مناسبتها لمقتضيات الموقف^(١٤١)، وهناك أيضاً أبيات من الشعر قرئت على السيرافي لاستطلاع رأيه فيها، فصمت ولم يبد تعليقاً عليها، مما يوحى بإقراره لها وموافقته عليها^(١٤٢).

* أما عن الأقوال المأثورة والحكايات التي ذكرها السيرافي، فمنها الأقوال التي وردت رداً على أسئلة مرتبطة بمواقف معينة، ومن مثل هذه الأقوال على سبيل المثال: «قيل لمديني أحب رمضان؟ قال: ما أتهنأ بشهور سائر السنة من أجله فكيف أحبه؟»^(١٤٣). ومنها أيضاً: «سكر مزبد يوماً وجاء إلى امرأته فقالت: أسأل الله أن يغيض إليك النبيذ، فقال: وإليك القب»^(١٤٤).

وبالنسبة إلى الحكايات فقد أورد السيرافي بعضها مفسراً بعض مفرداتها لغوياً، ومنها ما ساقه لما فيه من الحكمة والعبرة.

ومن الحكايات التي ساقها لتفسير بعض مفرداتها لغوياً قوله:

«دخل عطية بن عبد الرحمن الثعلبي على مروان بن محمد، فلما صار على طرف البساط تكلم. فحملاه سروراً. ثم قال: ابذن لي يا أمير المؤمنين أقبل يدك. فقال له مروان: قد عرف أمير المؤمنين مكانك في قومك وفضلك في نفسك. والقبلة من المسلم ذلة، ومن الكافر خدعة، ولا حاجة بك إلى أن تذل أو تخذع. وأنت الأنيسر عندنا على كل حال. الخاء من «خدعة» كانت مضمومة... وفتحها لغة رسول الله ﷺ وآله، وضمها جائزه»^(١٤٥).

أما عن الحكايات التي ساقها دون تعليق ولكن مضمونها يوحى بالحكمة والعبرة، فمنها ما نقله التوحيدى عن خط السيرافي من أن:

«عبد الملك بن عمير قال - وأوماً بيده إلى قصر الإمارة بالكوفة -: دخلت هذا القصر فرأيت عجباً؛ رأيت عبيد الله بن زياد جالساً على سريره

وبين يديه ترس فيه رأس الحسين بن علي عليهما السلام ولعن قاتلهما، ثم دخلت هذا القصر فرأيت المختار جالساً على السرير وبين يديه ترس فيه رأس عبيد الله بن زياد، ثم دخلت هذا القصر فرأيت مصعب بن الزبير بن العوام وهو جالس على السرير وبين يديه ترس فيه رأس المختار، ثم دخلت هذا القصر فرأيت عبد الملك ابن مروان جالساً على السرير وبين يديه ترس فيه رأس مصعب...»^(١٤٦).

خلاصة القول، أن النصوص المنسوبة إلى السيرافي في كتابات أبي حيان التوحيدى كشفت عن أمور عدة لها أهميتها. ولعل أهمها أن طرق نقل أو تحمل هذه النصوص أبرز أمانة تحمل التلميذ عن أستاذه، فضلاً عن أمانة النقل عند الأستاذ. فكل منهما لم ينسب أو يدعى لنفسه رأياً لم يكن صادراً منه، مما يؤسس ويرسخ أديبات الأمانة العلمية لدى التلميذ والأستاذ على حد سواء.

ولقد كشفت هذه النصوص عن معالجة قضايا متنوعة، فكان منها ما يتغلغل بينية الكلمة وما يرتبط بها من قضايا صرفية تتعلق بالميزان الصرفي أو المصادر والاشتقاق.

وأبرزت النصوص كذلك القضايا المتعلقة بدلالة المفردات، وكشفت عن منهج السيرافي في معالجتها وإبراز دلالتها، كما كانت قضية اللفظ والمعنى من المباحث التي شغلت حيزاً من كتابات السيرافي، فضلاً عن معالجته لقضية الترادف، وقضية تعدد المعنى.

كما تعرضت النصوص للقضايا النحوية التركيبية، وقضايا التراكيب والأساليب، وأمكن تصنيفها في أربعة مباحث، هي قضايا نظرية في علم النحو، وقضايا المصطلحات النحوية، وقضايا التراكيب والأساليب وأخيراً النحو وأثره في حدوث الضرورة الشعرية.

كما تضمنت النصوص المنسوبة إلى السيرافي ألواناً مختلفة، فكان منها ما يعالج قضايا نظرية ومنها ما يتصدى لقضايا تطبيقية، فضلاً عن النصوص الشعرية وشروحها، والأقوال المأثورة والحكايات والتعليق عليها.

المصادر والمراجع

(أ) المصادر:

- أبو حيان التوحيدى:
أخلاق الوزيرين، مثالب الوزيرين، صاحب ابن عباد وابن العميد. حققه وعلّق على حواشيه: محمد بن نازك الطنجي، دار صادر، بيروت ١٩٩٢م، ١٤١٢هـ.
الإشارات الإلهية. حققه عبد الرحمن بدوي. وكالة المطبوعات. الكويت، ١٩٨١م.
الإمتاع والمؤانسة. صححه وضبطه وشرح غريبه: أحمد أمين، أحمد الزين. منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت. لبنان، د.ت. وأيضاً منشورات لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٩م.
البصائر والذخائر. تحقيق: وداد القاضي. دار صادر. بيروت، ط ١، ١٩٨٤م.
رسائل أبي حيان التوحيدى. مقدمة بدراسة عن حياته وآثاره وأدبه. تحقيق: إبراهيم الكيلاني. دمشق، دار طلاس، ١٩٨٥م.
الصدقة والصدق. تحقيق: إبراهيم الكيلاني. دار الفكر، دمشق، ١٩٦٤م.
المقاييس. تحقيق وتعليق حسن السندوي. دار المعارف للطباعة والنشر. سوسة. تونس. ط ١، حويله ١٩٩١م. ط ٢ دار سعاد الصباح ١٩٩٢م.
الهوامل والشوامل. نشره أحمد أمين، السيد أحمد صقر. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة ١٩٥١م، ١٣٧٠هـ.

(ب) المراجع:

- أحمد محمد الحوفي: أبو حيان التوحيدى. مطبعة نهضة مصر. ط ١، ١٩٥٧، ط ٢، ١٩٦٤م.
عبد الرزاق محي الدين: أبو حيان التوحيدى، سيرته وآثاره. مطبعة السعادة، مصر. ط ١، ١٩٤٩م.
عبد الواحد حسن الشيخ: أبو حيان التوحيدى وجهوده الأدبية والفنية. الهيئة المصرية، الإسكندرية، ١٩٨٠م.
محمد عبد الفتاح الشيخ: أبو حيان التوحيدى وأيه فى الإعجاز وأثره فى الأدب والنقد. الدار العربية للكتاب. بيروت، ١٩٨٣م.
محمود إبراهيم: أبو حيان التوحيدى. الدار المتحدة للنشر، بيروت، ١٩٧٤م.
ياقوت الحموى: معجم الأدياء. حققه إحسان عباس، دار الغرب الإسلامى. بيروت، ١٩٩٣م.
يوسف شارونى: الحب والصدقة فى التراث العربى والدراسات المعاصرة. دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٧٥.

الهوامش

- ١ - معجم الأدياء ج ١٥: ص ٥، ط دار المأمون.
- ٢ - طبقات الشافعية ج ٤: ط مصر.
- ٣ - انظر: الفهرست لابن النديم ص ٩٩، وفيات الأعيان ص ٧٨، وبغية الوعاة ص ٢٢٥: هو الحسن بن عبدالله بن المرزبان، وأصله من فارس ومولده بسيراف، ومن ثم قيل له السيرافي نسبة إليها. قرأ القرآن الكريم على أبي بكر بن مجاهد - أحد القراء السبعة - وتعلم اللغة على ابن دريد، والنحو على أبي بكر بن السراج النحوى، وكان أعلم الناس فى عصره بنحو البصريين.
- ٤ - الإمتاع والمؤانسة ج ١: ص ١٣٠ ط. اللجنة ١٩٣٩م.
- ٥ - الفهرست ص ٩٩.
- ٦ - معجم الأدياء: ج ٨: ص ١٥٠.
- ٧ - المصدر السابق: ج ٨: ص ١٥١.
- ٨ - المصدر نفسه: ج ٨: ص ١٥٣.
- ٩ - المصدر نفسه: ج ٨: ص ١٥٤.
- ١٠ - أخلاق الوزيرين: ص ٤٠٠.
- ١١ - المصدر السابق: ص ٤١١، ص ٤١٣. وانظر: الإمتاع والمؤانسة ج ١ ص ١٣٠.
- ١٢ - معجم الأدياء: ج ٨: ص ١٥٥.
- ١٣ - إبراهيم الكيلاني أبو حيان التوحيدى: ص ١٤، زكريا إبراهيم: أبو حيان التوحيدى: ص ٣٣.
- ١٤ - معجم الأدياء: ج ٨: ص ١٧٢، والإمتاع والمؤانسة: ج ١ ص ١٣٢، ص ١٣٣.
- ١٥ - انظر على سبيل المثال: البصائر ج ٢ ص ٧٧٠.

- ١٦ - زكريا إبراهيم، أبو حيان التوحيدي: ص ٢٣.
- ١٧ - أخلاق الوزيرين: ص ٢٤٨.
- ١٨ - معجم الأدباء: ج ٨: ص ١٥٢.
- ١٩ - المقابسات: ص ١٧٥.
- ٢٠ - الإمتاع والمؤانسة: ج ١: ص ١٢٩.
- ٢١ - أخلاق الوزيرين: ص ٤١٤، وانظر معجم الأدباء ج ٨: ص ١٥٣، والبصائر: ج ١: ص ٢١٤.
- ٢٢ - معجم الأدباء: ج ٨: ص ١٥٥.
- ٢٣ - البصائر والذخائر: ج ٢: ص ١٩٣.
- ٢٤ - المصدر السابق: ج ٩: ص ٦٣.
- ٢٥ - المصدر نفسه: ج ١: ص ٣٧.
- ٢٦ - المصدر نفسه: ج ٥: ص ٨٧، ص ١١٨.
- ٢٧ - المصدر نفسه: ج ٦: ص ٢١٨.
- ٢٨ - المصدر نفسه: ج ١: ص ١٧٩.
- ٢٩ - المصدر نفسه: ج ٢: ص ٢٢١.
- ٣٠ - المصدر السابق: ج ٥: ص ١٣١.
- ٣١ - المصدر نفسه: ج ٤: ص ٢٠٧، ج ٥: ص ١٤٢، ص ١٤٣، ص ٢٠٠، ص ٢٠٨، ص ٢١٨، ج ٦: ص ١٠٨، ج ٨: ص ١١٠، وانظر: أخلاق الوزيرين: ص ٦٨، ص ٣٠٧.
- ٣٢ - البصائر والذخائر: ج ٦: ص ١٩٨.
- ٣٣ - المصدر السابق: ج ٦: ص ٢٠٦.
- ٣٤ - المصدر نفسه: ج ٩: ص ١٧٨، ص ١٧٩.
- ٣٥ - المصدر نفسه: ج ١: ص ١٧٨.
- ٣٦ - المصدر نفسه: ج ٢: ص ٨٧.
- ٣٧ - المصدر نفسه: ج ٦: ص ١٩٦، ص ١٩٧.
- ٣٨ - كتاب اللغات ليويس بن حبيب، ذكره ابن النديم في الفهرست: ص ٤٨، وانظر: وفیات الأعيان: ج ٧: ص ٢٤٥.
- ٣٩ - البصائر والذخائر: ج ٢: ص ٤٢.
- ٤٠ - المصدر السابق: ج ٤: ص ٢٢٠.
- ٤١ - المصدر نفسه: ج ٤: ص ٢٢٠.
- ٤٢ - المصدر نفسه: ج ٥: ص ١٣١.
- ٤٣، ٤٤ - المصدر نفسه: ج ٦: ص ١٩٧. وانظر أيضا: ص ١٩٨.
- ٤٥ - المصدر نفسه: ج ٤: ص ٢٣٢.
- ٤٦ - المصدر نفسه: ج ٩: ص ٦٧.
- ٤٧ - المصدر نفسه: ج ٣: ص ١٤٩.
- ٤٨ - المصدر نفسه: ج ٣: ص ١٤٩.
- ٤٩ - المصدر نفسه: ج ٣: ص ١٢٢.
- ٥٠ - المصدر نفسه: ج ٧: ص ١٣٦.
- ٥١ - المصدر نفسه: ج ٧: ص ١٢٧.
- ٥٢ - المصدر نفسه: ج ٧: ص ١١٦.
- ٥٣ - المصدر نفسه: ج ٧: ص ١٣٠، ص ١٣١.
- ٥٤ - المصدر نفسه: ج ٧: ص ١٣٣.
- ٥٥ - المصدر نفسه: ج ٧: ص ١٥٦، ص ١٥٧.
- ٥٦ - المصدر نفسه: ج ٩: ص ١٦٣.
- ٥٧ - المصدر نفسه: ج ١: ص ١٧٥.
- ٥٨ - المصدر نفسه: ج ٥: ص ٩٥.

- ٥٩ - المصدر نفسه: ج١: ص٣٦، ص٣٧.
 ٦٠ - المصدر نفسه: ج٥: ص٩٥.
 ٦١، ٦٢ - المصدر نفسه: ج٤: ص٢٣٢.
 ٦٣ - المصدر نفسه: ج٥: ص٩٥.
 ٦٤، ٦٥ - المصدر نفسه: ج٥: ص٨٧.
 ٦٦ - المصدر نفسه: ج٢: ص١٩٣.
 ٦٧، ٦٨ - الإمتاع والمؤانسة: ج٢: ص٢، ص٣.
 ٦٩ - البصائر والذخائر: ج٦: ص١٠٨، ص١٠٩.
 ٧٠ - المصدر نفسه: ج٥: ص٢١٨.
 ٧١ - المصدر نفسه: ج٨: ص٥١.
 ٧٢ - المصدر نفسه: ج٩: ص٢٠.
 ٧٣ - المصدر نفسه: ج٨: ص١٤٧.
 ٧٤ - المصدر نفسه: ج٥: ص٨٧.
 ٧٥ - المقابسات: ص١٧٤، ص١٧٥.
 ٧٦ - الإمتاع والمؤانسة: ج١: ص١٢٥.
 ٧٧ - البصائر والذخائر: ج٥: ص٥٠.
 ٧٨ - الإمتاع والمؤانسة: ج١: ص١١٥.
 ٧٩ - المصدر السابق: ج١: ص١٢٢.
 ٨٠ - المصدر نفسه: ج١: ص١٢٥.
 ٨١ - الهوامل والشوامل: ص٥.
 ٨٢ - البصائر والذخائر: ج١: ص١٧٩.
 ٨٣ - انظر المصدر السابق: ج٤: ص٢٣٢.
 ٨٤ - المصدر نفسه: ج١: ص٣٧.
 ٨٥ - المصدر نفسه: ج١: ص٣٧.
 ٨٦ - المصدر نفسه: ج١: ص١٩٣.
 ٨٧ - المصدر نفسه: ج٣: ص١٠٥.
 ٨٨ - المصدر نفسه: ج٤: ص٢٣٢.
 ٨٩ - المصدر نفسه: ج٥: ص١١٨.
 ٩٠ - المصدر نفسه: ج٨: ص١٤٨.
 ٩١ - المصدر نفسه: ج٨: ص٥١.
 ٩٢ - المصدر نفسه: ج٨: ص١٤٧.
 ٩٣ - البصائر والذخائر: ج٦: ص٧٢.
 ٩٤ - الإمتاع والمؤانسة: ج١: ص١٠٩.
 ٩٥ - المقابسات: ص١٧١.
 ٩٦ - انظر الإمتاع والمؤانسة: ج١: ص١١٤.
 ٩٧ - انظر المصدر السابق: ج١: ص١١٥.
 ٩٨ - المصدر نفسه: ج١: ص١١٤.
 ٩٩ - المصدر نفسه: ج١: ص١٢٢.
 ١٠٠ - المصدر نفسه: ج١: ص١٢٢، ص١٢٣.
 ١٠١ - المصدر نفسه: ج١: ص١١٦، ص١١٧، ص١٢٣، ص١٢٤.
 ١٠٢ - المصدر نفسه: ج١: ص١٢٤، ص١٢٥.
 ١٠٣ - المقابسات: ص١٧٧.
 ١٠٤ - الإمتاع والمؤانسة: ج١: ص١٢١.

- ١٠٥ - المصدر السابق: ج١: ص١١٧.
- ١٠٦ - سورة النساء: ٣.
- ١٠٧ - سورة الشمس: ٥.
- ١٠٨ - سورة الطور: ١٤.
- ١٠٩ - البصائر والدخائر: ج٦: ص٢١٦، ص٢١٧.
- ١١٠ - المصدر السابق: ج١: ص١٧٥.
- ١١١ - المصدر نفسه: ج٥: ص١٤٢.
- ١١٢ - المصدر نفسه: ج١: ص١٧٥.
- ١١٣ - الإمتاع والمؤانسة: ج١: ص ١٠٩.
- ١١٤ - المصدر السابق: ج١: ص١٠٦، ١٠٧.
- ١١٥ - البصائر والدخائر: ج٦: ص٢١٨.
- ١١٦ - المصدر السابق: ج٥: ص٢٠٠ - ص٢٠٢.
- ١١٧ - المصدر نفسه: ج٤: ص٥٩.
- ١١٨ - المصدر نفسه: ج٥: ص١٢٣.
- ١١٩ - المصدر نفسه: ج٦، ص ١٠٨، ١٠٩.
- ١٢٠ - سورة آل عمران: ١٨.
- ١٢١ - البصائر والدخائر: ج٣: ص١٤٩.
- ١٢٢ - سورة النساء: ٣.
- ١٢٣ - سورة الشمس: ٥.
- ١٢٤ - سورة الطور: ١٤.
- ١٢٥ - البصائر والدخائر: ج٦: ص ٢١٦، ص٢١٧.
- ١٢٦ - البصائر والدخائر: ج٥: ص ٢٠٨، ص ٢٠٩. وانظر كذلك الإمتاع والمؤانسة: ج١: ص ١٢٠.
- ١٢٧ - أخلاق الوزيرين: ص ٢٤٨.
- ١٢٨، ١٢٩ - الإمتاع والمؤانسة: ج١: ص١٢٢.
- ١٣٠ - المصدر السابق: ج١: ص١٢٦.
- ١٣١ - المصدر نفسه: ج١: ص١٢٥، ص١٢٦.
- ١٣٢ - المصدر السابق نفسه: ج١: ص ١١٨.
- ١٣٣ - البصائر والدخائر: ج٤: ص ٢٢٠.
- ١٣٤ - المصدر السابق: ج٩: ص ١٧٨.
- ١٣٥ - المصدر نفسه: ج٩: ص١٧٨، ص١٧٩.
- ١٣٦ - المصدر نفسه: ج١: ص١٧٨.
- ١٣٧ - المصدر نفسه: ج٦: ص١٨٢.
- ١٣٨ - المصدر نفسه: ج٦، ص ١٨١.
- ١٣٩ - المصدر نفسه: ج٦: ص١٨٢، ص١٨٣.
- ١٤٠ - انظر المصدر نفسه: ج٢: ص٨٧. وانظر أيضا أبحاثاً أخرى: ج٤: ص٢٦، ج٥: ص٤٦، ج٦: ص١٩٨، ج٩: ص٦٧.. وانظر أيضا: الإمتاع والمؤانسة : ج١: ص ٢٧.
- ١٤١ - أنظر البصائر والدخائر: ج٤: ص ٢٦، ص ٢٧.
- ١٤٢ - المصدر السابق: ج٢: ص٤٢، وانظر أيضا: ج٦: ص١٩٦، ص١٩٧.
- ١٤٣ - المصدر نفسه: ج٦: ص١٩٧.
- ١٤٤ - المصدر نفسه، الصفحة نفسها. وانظر أقوالاً أخرى: ص١٩٨.
- ١٤٥ - المصدر السابق: ج٧: ص١١٦.
- ١٤٦ - المصدر السابق: ج٧: ص١٣٣، ص١٣٤. وانظر أيضا حكاية أخرى على النسق نفسه ص١٣٥، ص١٣٦.